المواكب

الخيرُ في الناس مصنوعٌ إذا جبروا
والشرُّ في الناس لا يفنى وإنْ قُبروا

وأكثرُ الناس آلاتٌ تُحركها
أصابعُ الدهر يوماً ثم تنكسرُ

فلا تقولنَّ هذا عالمٌ علمٌ
ولا تقولنَّ ذاك السيدُ الوقرُ

فأفضلُ الناس قطعانٌ يسير بها
صوتُ الرعاةِ ومن لم يمش يندثرُ

❖ ❖ ❖

ليس في الغابات راعٍ لا ولا فيها القطيعْ
فالشتا يمشي ولكنْ لا يجاريه الربيعْ
خلقَ الناسُ عبيداً للذي يأبى الخضوعْ
فإذا ما هبّ يوماً سائراً سارَ الجميعْ

أعطني الناي وغنِّ فالغنا يرعى العقول
وأنينُ الناي أبقى من مجيدٍ وذليلْ

❖ ❖ ❖

وما الحياة سوى نومٍ تراودهُ

أحلامُ من بمرادِ النفس يأتمرُ

والسرّ في النفس حزنِ النفس يسترهُ

فإن تولى فبالأفراح يستترُ

والسر في العيش رغدُ العيش يحجبه

فإن أزيل تولى حجبهُ الكدرُ

فإن ترفعت عن رغدٍ وعن كدرٍ

جاورت ظلَّ الذي حارتْ به الفكرُ



ليس في الغاباتِ حزنٌ		لا ولا فيها الهمومْ

فإذا هبّ نسيمٌ		لم تجىء معه السمومْ

ليس حزنُ النفس إلا		ظل وَهْمٍ لا يدومْ

وغيومُ النفس تبدو		منْ تناياها النجومْ

أعطني الناي وغنِّ		فالغنا يمحو المحنْ

وأنينُ الناي يبقى		بعد أن يفنى الزمنْ

❖ ❖ ❖

وقلَّ في الأرض من يرضى الحياة كما

تأتيه عفواً ولم يحكم به الضجرُ

لذاك قد حوَّلوا نهر الحياة إلى

أكواب وهمٍ إذا طافوا بها خدروا

فالناس إن شربوا سُرّوا كأنهم

رهن الهوى وعلى التخدير قد فُطروا

فذا يُعربدُ إن صلى وذاك إذا

أثرى وذلك بالأحلام يختمرُ

فالأرض خمّارةٌ والدهرُ صاحبُها

وليس يرضى بها غير الألى سكروا

فإن رأيت أخا صحوٍ فقل عَجَباً!

هل استظل بغيمٍ ممطرٍ قمرُ؟



ليس في الغابات سكرٌ		من مدامٍ أو خيالْ
فالسواقي ليس فيها		غير إكسير الغمامْ
إنما التخدير ثديٌ		وحليبٌ للأنامْ
فإذا شاخوا وماتوا		بلغوا سن الفطامْ

أعطني الناي وغنِّ		فالغنا خيرُ الشرابْ
وأنينُ الناي يبقى		بعد أن تفنى الهضابْ

❖ ❖ ❖

والدينُ في النـاس حقـلٌ ليـس يزرعـهُ
غـيرُ الألـى لـهمُ فـي زرعـهِ وطـرُ

مـن آمـل بنعيـم الخلـد مبتشـر
ومـن جـهول يخـافُ النـارَ تسـتعرُ

فـالقومُ لـولا عقـابُ البعـثِ مـا عبـدوا
ربـاً ولـولا الثـواب المرتجـى كفـروا

كـأنمـا الديـنُ ضـربٌ مـن مَتـاجرهم
إن واظبـوا ربحـوا أو أهملـوا خسـروا



ليـــس فـــي الغابـــات ديـــنٌ لا ولا الـكفـــرُ القبيـــحْ

فـــإذا البلبـــلُ غنّـــى لـــم يقـــلْ هـــذا الصحيـــحْ

إنّ ديـــنَ النـــاس يـــأتي مثـــلَ ظـــلّ ويـــروحْ

لـــم يقـــم فـــي الأرض ديـــنٌ بعـــد طـــه والمســـيحْ

أعطنـــي النـــاي وغـــنّ فالغنـــا خـــيرُ الصـــلاة

وأنـــينُ النـــاي يبقـــى بعـــد أن تفنـــى الحيـــاةْ

❖ ❖ ❖

والعدلُ في الأرض يبكي الجنّ لو سمعوا

به ويستضحكُ الأموات لو نظروا

فالسجنُ والموتُ للجانينَ إن صغروا

والمجدُ والفخرُ والإثراء إن كبروا

فسارق الزهر مذمومٌ ومحتقرٌ

وسارقُ الحقل يُدعى الباسلُ الخطرُ

وقاتلُ الجسم مقتولٌ بفعلتهِ

وقاتلُ الروح لا تدري به البشرُ



ليس في الغاباتِ عدلٌ لا ولا فيها العقابْ

فإذا الصفصافُ ألقى ظلَّهُ فوقَ الترابْ

لا يقولُ السرو هذي بدعةٌ ضدّ الكتابْ

إن عدلَ الناس ثلجٌ إن رأتهُ الشمسُ ذابْ

أعطني الناي وغنّ فالغنا عدل القلوبْ

وأنينُ الناي يبقى بعد أن تفنى الذنوبْ

❖ ❖ ❖

والحـــقّ للعـــزم، والأرواحُ إن قويـــتْ

ســادتّ وإنْ ضعفـتْ حلـتْ بـها الغـيرُ

ففـــي العرينـــةِ ريـــحٌ ليـــسَ يقربـــهُ

بنـو الثعـالب غـابَ الأُسْـدُ أم حضـروا

وفـــي الزارازيـــر جـــبنٌ وهـــي طـــائرةٌ

وفـــي الـــبزاةِ شـــموخٌ وهـــي تحتضـــرُ

والعـزمُ فـي الـروح حـقٌّ ليـس ينكـرهُ

عـزمُ السـواعد شـاء النـاس أم نكـروا

فـــإن رأيـــتَ ضعيفـــاً ســـائداً فعلـــى

قـــومٍ إذا مـــا رأوا أشـــباههم نفـــروا



ليــس فــي الغابــات عــزمٌ لا ولا فيـــها الضعيـــفْ

فــإذا مــا الأسْــدُ صــاحتْ لــم تقــلْ هــذا المخيــفْ

إنّ عـــزمَ النـــاس ظـــلٌ فــي فضــا الفكــر يطــوفْ

وحقـــوق النـــاس تبلـــى مثـــل أوراق الخريـــفْ

أعطنـــي النـــايّ وغـــنّ فالغنـــا عـــزمُ النفـــوسْ

وأنـــينُ النـــاي يبقـــى بعـــد أن تفنـــى الشـــموسْ

❖ ❖ ❖

والعلمُ في الناس سبلٌ بانَ أوّلها

أما أواخرها فالدهرُ والقدرُ

وأفضلُ العلم حلمٌ إنّ ظفرتَ به

وسرت ما بينَ أبناء الكرى سخروا

فإن رأيتَ أخا الأحلام منفرداً

عن قومهِ وهو منبوذٌ ومحتقرُ

فهو النبيُّ وبردُ الغدِّ يحجبهُ

عن أمةٍ برداء الأمس تأتزرُ

وهو الغريبُ عن الدنيا وساكنها

وهو المجاهرُ لامَ الناسُ أو عذروا

وهو الشديدُ وإنْ أبدى ملاينةً

وهو البعيدُ تدانى الناسُ أمْ هجروا



لـيــس فــي الغابــاتِ علــمٌ لا ولا فيــــها الجــــهولْ
فـــإذا الأغصـــان مـــالتْ لـــم تقـــلْ هـــذا الجليـــلْ
إنّ علـــمَ النـــاس طـــراً كضبـــاب فـــي الحقـــولْ
فـــإذا الشـــمسُ أطلـــتْ مـــن ورا الأفـــق يـــزولْ

أعطنـــي النـــايَ وغـــنّ فالغنـــا خـــيرُ العلـــومْ
وأنـــينُ النـــاي يبقـــى بعـــد أن تطفـــا النجـــومْ

❖ ❖ ❖

والحــرُّ فــي الأرض يبنــي مــن منازعــهِ

ســجناً لــه وهــو لا يــدري فيؤتســـرُ

فــإنْ تحـــرر مـــن أبنـــاء بجدتـــهِ

يظـــلّ عبـــداً لمـــن يـــهوى ويفتكـــرُ

فـــهو الأريـــبُ ولكـــن فـــي تصلبـــه

حتـــى وللحـــق بطـــلٌ بـــل هـــو البطـــرُ

وهـــو الطليـــقُ ولكـــنْ فـــي تســـرعه

حتـــى إلـــى أوج مجـــدٍ خـــالدٍ صغَـــرُ



ليس في الغابات حرٌّ — لا ولا العبد الذميمْ
إنما الأمجادُ سخفٌ — وفقاقيعٌ تعومْ
فإذا ما اللوزُ ألقى — زهرهُ فوقَ الهشيمْ
لم يقلْ هذا حقيرٌ — وأنا المولى الكريمْ

أعطني النايَ وغنِّ — فالغنا مجدٌ أثيلْ
وأنينُ الناي أبقى — من زنيمٍ وجليلْ

❖ ❖ ❖

واللطفُ في الناس أصدافٌ وإن نعمت
أضلاعها لم تكن في جوفها الدررُ
فمن خبيثٍ له نفسان: واحدةٌ
من العجين وأخرى دونها الحجرُ
ومن خفيفٍ ومن مستأنثٍ خنثٍ
تكادُ تدمي ثنايا ثوبهِ الإبرُ
واللطفُ للنذل درعٌ يستجيرُ به
إن راعهُ وجلٌ أو هالهُ الخطرُ
فإن لقيت قوياً ليناً فبهِ
لأعينٍ فقدتْ أبصارها البصرُ

❖ ❖ ❖

ليــس فــي الغــاب لطيــفٌ ... لينـــهُ لـــينُ الجبـــانْ
فغصـــونُ البـــان تعلـــو ... فـــي جـــوار الســـنديانْ
وإذا الطـــاووس أعطـــي ... حلـــةً كـــالأرجوانْ
فـــهو لا يـــدري أحســـنٌ ... فيـــه أم فيـــه افتتـــانْ

أعطنـــي النـــايَ وغـــنِّ ... فالغنـــا لطـــفُ الوديـــعْ
وأنـــينُ النـــاس أبقـــى ... مـــن ضعيـــفٍ وضليـــعْ

❖ ❖ ❖

والظـرفُ فـي النـاس تمويـهٌ وأبغضُـهُ

ظـرفُ الألـى فـي فنـون الاقتـدا مـهروا

مـن معجـبٍ بـأمورٍ وهـو يجهلـها

وليـس فيـها لـه نفـعٌ ولا ضـررُ

ومـن عتـيٍّ يـرى فـي نفسـه ملكـاً

فـي صوتـها نغـمٌ فـي لفظـها سـورُ

ومـن شـموخٍ غـدتْ مرآتـه فلكـاً

وظلـهُ قمـراً يزهـو ويزدهـرُ



ليـــس فـــي الغـــابِ ظريـــفُ ظرفـــه ضعـــف الضئيـــلْ

فالضبـــا وهـــي عليـــلُ مـــا بـــها ســـقمُ العليـــلْ

إنّ بالأنـــــهارِ طعمـــــاً مثـــل طعـــم السلســـبيل

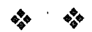
وبـــها هـــول وعـــزمٌ يجـــرفُ الصلـــدَ الثقيـــلْ

أعطنـــي النـــايَ وغـــنّ فالغنـــا ظـــرفُ الظريـــفْ

وأنـــينُ النـــايِ أبقـــى مـــن رقيـــقٍ وكثيـــفْ

❖ ❖ ❖

والحبُّ في الناس أشكالٌ وأكثرها
كالعشبِ في الحقلِ لا زهرٌ ولا ثمرُ
وأكثرُ الحبّ مثلُ الراح أيسرهُ
يرضي وأكثرهُ للمدمن الخطرُ
والحبُّ إن قادت الأجسامُ موكبهُ
إلى فراش من الأغراض ينتحرُ
كأنهُ ملكٌ في الأسر معتقلٌ
يأبى الحياةَ وأعوانٌ له غدروا



ليـــس فـــي الغـــابِ خليـــعٌ   يدعـــي نبـــلَ الغـــرامْ

فـــإذا الثـــيرانُ خـــارتْ   لـــم تقـــلْ هـــذا الـــهيامْ

إنّ حـــبّ النـــاس داءٌ   بـــين لحـــم وعظـــامْ

فـــإذا ولّـــى شـــبابٌ   يختفـــي ذاك الســـقامْ

أعطنـــي النـــايَ وغـــنّ   فالغنـــا حـــبٌّ صحيـــحْ

وأنـــينُ النـــاي أبقـــى   مـــن جميـــلٍ ومليـــحْ

❖ ❖ ❖

فـــإنْ لقيــتَ محبــاً هائمـــاً كلفـــاً

فــي جوعــه شــبعٌ فــي ورده الصــدرُ

والنــاسُ قــالوا هــو المجنــونُ مــاذا عســى

يبغــي مــن الحــب أو يرجــو فيصطــبرُ؟

أفــي هــوى تلــك يســتدمي محــاجرهُ

وليــس فــي تلــك مــا يحلــو ويعتــبرُ!

فقــلْ هــمُ البــهمُ مــاتوا قبلمــا ولــدوا

أنّى دروا كُنْـهَ مـن يحيـي ومـا اختـبروا



ليس في الغاباتِ عدلٌ　　لا ولا فيها الرقيبْ

فإذا الغزلانُ جنتْ　　إذْ ترى وجه المغيبْ

لا يقولُ النسرُ واهاً　　إنّ ذا شيء عجيبْ

إنما العاقلُ يدعى　　عندنا الأمرَ الغريبْ

أعطني النايَ وغنّ　　فالغنا خيرُ الجنونْ

وأنينُ الناي أبقى　　من حصيفٍ ورصينْ

❖ ❖ ❖

وقـــلْ نســـينا فخـــارَ الفـــاتحينَ ومـــا

نـنســـى المجـــانينَ حتـــى يغمـــرَ الغمـــرُ

قد كـان فـي قلـب ذي القرنـين مجـزرةٌ

وفـــي حشاشـــة قيـــس هيكـــلٌ وقـــرُ

ففـــي انتصـــاراتِ هـــذا غلبـــةٌ خفيـــتْ

وفـــي انكســـارات هـــذا الفـــوزُ والظفـــرُ

والحـبّ فـي الـروح لا فـي الجسـم نعرفـهُ

كـــالخمر للوحـــي لا للســـكر والظفـــرُ



ليس في الغاباتِ ذكرٌ غير ذكر العاشقينْ

فالألى سادوا ومادوا وطغوا بالعالمينْ

أصبحوا مثل حروفٍ في أسامي المجرمينْ

فالهوى الفضاحُ يدعى عندنا الفتح المبينْ

أعطني النايَ وغنّ وانسَ ظلمَ الأقوياء

إنما الزنبقُ كأسٌ للندى لا للدماء

❖ ❖ ❖

ومـا السـعادةُ فـي الدنيـا سـوى شـبحٍ

يُرجـى فـإن صـار جسـماً ملّـه البشـرُ

كالنهرِ يركضُ نحو السهل مكتدحاً

حتـى إذا جـاءه يبطـي ويعتكـرُ

لـم يسـعدِ النـاسُ إلا فـي تشـوقهمْ

إلـى المنيـع فـإن صـاروا بـه فـتروا

فـإن لقيـت سـعيداً وهـو منصـرفٌ

عـن المنيـع فقـل فـي خلقـه العـبرُ



ليس في الغابِ رجاءٌ		لا ولا فيهِ المللْ
كيف يرجو الغابُ جزءاً		وعلى الكلّ حصلْ؟
وبما السعيُ بغاب		أملاً وهو الأملْ؟
إنما العيشُ رجاءٌ		إحدى هاتيك العللْ

أعطني النايَ وغنّ		فالغنا نارٌ ونورْ
وأنينُ الناي شوقٌ		لا يدانيهِ الفتورْ

❖ ❖ ❖

وغايـةُ الـروح طـيَّ الـروح قـد خفيـتْ

فـلا المظـاهرُ تبديـها ولا الصـورُ

فـذا يقـولُ هـي الأرواحُ إنْ بلغـتْ

حـدَّ الكمـال تلاشـتْ وانقضـى الخـبرُ

كـأنمـا هـي أثمـارٌ إذا نضجـتْ

ومـرت الريـحُ يومـاً عافـها الشـجرُ

وإذْ يقـولُ هـي الأجسـامُ إنْ هجعـتْ

لـم يبـقَ فـي الـروح تـهويمٌ ولا سـمرُ

كـأنمـا هـي ظـلٌّ فـي الغديـر إذا

تعكـرَ المـاءُ ولّـتْ وامحـى الأثـرُ

ظـلَّ الجميـع فـلا الـذراتُ فـي جسـدٍ

تثـوى ولا هـي فـي الأرواح تحتضـرُ

فمـا طـوتْ شـمألٌ أذيـال عاقلـةٍ

إلا ومـر بـها الشـرقي فتنتشـرُ



لـم أجـدْ فــي الغــابِ فرقــاً ... بـــين نفـــسٍ وجســـدْ
فالـــهوا مـــاءٌ تـــهادى ... والنـــدى مـــاءٌ ركـــدْ
والشـــذا زهـــرٌ تمـــادى ... والـــثرى زهـــرٌ جمـــدْ
وظـــلالُ الحـــورِ حـــورٌ ... ظـــنّ ليـــلاً فرقـــدْ

أعطنـــي النـــايَ وغـــنّ ... فالغنـــا جســـمٌ وروحْ
وأنـــينُ النـــاي أبقـــى ... مـــن عبـــوقٍ وصبـــوحْ

❖ ❖ ❖

والجسـمُ للـروح رحـمٌ تسـتكنُّ بـهِ

حتـى البلـوغ فتسـتعلي وينغمـرُ

فـهي الجنـينُ ومـا يـومُ الحمـامِ سـوى

عـهدِ المخـاضِ فـلا سـقطٌ ولا عسـرُ

لكـن فـي النـاسِ أشـباحاً يلازمـها

عقـمُ القسـيِّ التـي مـا شـدها وتـرُ

فـهي الدخيلـةُ والأرواحُ مـا ولـدتْ

مـن القفيـلِ ولـم يحبـلْ بـها المـدرُ

وكـمْ علـى الأرضِ مـن نبـتٍ بـلا أرجٍ

وكـم عـلا الأفـقَ غيـمٌ مـا بـه مطـرُ



ليس في الغابِ عقيمٌ | لا ولا فيها الدخيلْ
إنّ في التمرِ نواةً | حفظتْ سرّ النخيلْ
وبقرصِ الشهدِ رمزٌ | عن قفيرٍ وحقولْ
إنما العاقرُ لفظٌ | صيغ من معنى الخمولْ

أعطني الناي وغنّ | فالغنا جسمٌ يسيلْ
وأنينُ الناي أبقى | من مسوخٍ ونغولْ

❖ ❖ ❖

والموتُ في الأرض لابن الأرض خاتمةٌ

وللأثيريّ فهو البدءُ والظفرُ

فمن يعانق في أحلامه سحراً

يبقَ ومن نامَ كلَّ الليل يندثرُ

ومن يلازم ترباً حال يقظته

يعانق الترب حتى تخمد الزهرُ

فالموتُ كالبحر، من خفتْ عناصره

يجتازه، وأخو الأثقال ينحدرُ



ليس في الغاباتِ موتٌ		لا ولا فيها القبورْ
فإذا نيسانُ ولّى		لم يمتْ معهُ السرورْ
إنّ هولَ الموتِ وهمٌ		ينثني طيَّ الصدورْ
فالذي عاش ربيعاً		كالذي عاش الدهورْ

أعطني النايَ وغنّ		فالغنا سرُّ الخلودْ
وأنينُ الناي يبقى		بعد أن يفنى الوجودْ

أعطني النايَ وغنّ		وانسَ ما قلتُ وقلتا
إنما النطق هباءٌ		فأفدني ما فعلتا

هــل تخــذتَ الغــابَ مثلــي   مــــنزلاً دون القصـــــورْ
فتتبعـــــــث الســــــواقي   وتســــــلقت الصخـــــور؟

هـــــل تحممـــــت بعطــــر   وتنشـــــــقت بنــــــورْ
وشـــــربت الفجــــرَ خمــــراً   فـــي كـــؤوسٍ مـــن أثـــيرْ؟

هــل جلســتَ العصــر مثلــي   بـــين جفنــــاتِ العنـــبْ
والعنـــــــاقيد تدلـــــــتْ   كثريـــــــاتِ الذهـــــبْ

فـــهي للصـــادي عيـــونٌ   ولمـــن جـــاعَ الطعـــامْ
وهـــي شـــهدٌ وهـــي عطـــرٌ   ولمـــن شـــاء المـــدامْ

هــل فرشــتْ العشــب ليــلاً   وتلحفـــــت الفضـــــا
زاهـــداً فـــي مـــا ســـيأتي   ناســـياً مـــا قـــد مضـــى؟

وســـكوتُ الليـــل بحـــرٌ موجـــه فـــي مســـمعكْ
وبصـــدر الليـــل قلـــبٌ خـــافق فـــي مضجعـــكْ

أعطنـــي النـــايَ وغـــنّ وانـــــــس داءً ودواء
إنمـــا النـــاسُ ســـطورٌ كتبـــتْ لكـــن بمـــاء

ليـــت شـــعري أي نفـــعٍ فـــي اجتمـــاع وزحـــامْ
وجـــدالٍ وضجيـــجٍ واحتجـــاج وخصـــامْ؟

كلـــها أنفـــاقُ خلـــدٍ وخيـــوط العنكبـــوتْ
فـــالذي يحيـــا بعجـــزٍ فـــهو فـــي بـــطءٍ يمـــوتْ

❖ ❖ ❖

العيشُ في الغابِ والأيامِ لو نظمتْ

في قبضتي لغدتْ في الغابِ تنتشرُ

لكن هو الدهرُ في نفسي له أربٌ

فكلما رمتُ غاباً قام يعتذرُ

وللتقاديرِ سبلٌ لا تغيرها

والناس في عجزهم عن قصدهم قصروا

